

تمهيد

قبل الشروع بدراسة الآيات التي تخص آداب التعايش لابد لي من الوقوف لأبين مفهوم "الآداب" و"التعايش" في اللغة والاصطلاح.

أولاً: تعريف الآداب لغة واصطلاحاً:

الآداب لغة : جمع أدب ، مثل سبب وأسباب ، وهو رياضة النفس بالتعليم والتهديب على ما ينبغي ، فيقال: (أدبه)، أي: راضه على محاسن الأخلاق ولقنه فنون الأدب، وسمي الأدب أدباً؛ لأنه يؤدّب الناس إلى المحامد وينهاهم عن المقابح^(١)، ثم تطورت لفظة (أدب) التي تعني الأخلاق وتعني التعليم فشملت جميع المعارف، ولاسيما البلاغة واللغة ، إذ عرف الأدب بأنه: (حفظ أشعار العرب وأخبارهم والأخذ من كل علم بطرف)^(٢)، فأصبحت كلمة أدب تدل على العلوم والمعارف ، وأصبح لكل شريحة من شرائح المجتمع آداب ، فأصبح يقال أدب العالم وأدب المتعلم، وأدب القاضي ، وأدب النفس ، بل إن هذه الكلمة شملت جميع مرافق الحياة^(٣) .

تعريف الآداب اصطلاحاً:

عرف الأدب بعدة تعريفات جاءت عن جمع من العلماء أفرقت في اللفظ وتقاربت في المعنى منها:

(١)- ينظر: لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر - بيروت، الطبعة: الأولى ٣٣/١، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية - بيروت، ٩/١، والقاموس المحيط : لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي ، مؤسسة الرسالة- بيروت ٧٥ /١ .

(٢)- مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت ٨٠٨)، دار الشعب - القاهرة (بدون تاريخ) ص ٥٢٢ .

(٣)- ينظر: آداب التحية والسلام في الإسلام ، لفاضل النجادي ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ص ١٧ .

١- قال ابن حجر: (الأدب استعمال ما يحمد قولاً وعملاً ٠٠٠ وقيل هو تعظيم من فوقك والرفق بمن دونك) ^(١) .

ثانياً: تعريف التعايش لغة واصطلاحاً:

تعريف التعايش لغة: الأصل في اشتقاق كلمة التعايش هو: (عيش) ، والعيش المصدر، وكل شيء يعاش به ، أو فيه فهو معاش قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾ ^(٢) ، ومعاش لا تهمز لأنها مفاعل من العيش واحداثها معيشة ، أي أن (الياء) أصلية وليست زائدة ، والأصل معيشة على وزن مفعلة وهي ما يعاش به من النبات والحيوان، ويقال (تعاشوا) عاشوا على الألفة والمودة ، وعاشه : عاش معه ^(٣) .

التعايش اصطلاحاً :

١- **التعايش :** (كلمة تعني العيش المشترك مع الآخرين، ولا يكون التعايش إلا بوجود الألفة والمودة ، ولا يعيش الإنسان مع غيره إلا إن وجد بينهما تفاهم، ورغبة بعيشة مشتركة، لُحْمَتْهَا الألفة، وسُداها المودة والثقة) ^(٤) .

(١)- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، تحقيق محب الدين الخطيب، كتاب الأدب ١٠ / ٤٠٠ .

(٢)- سورة النبأ: الآية ١١ .

(٣)- ينظر: كتاب غريب القرآن، أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني، دار قتيبة - ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران ١ / ٤١٥-٤١٦ ، و معجم مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار الجيل - بيروت - لبنان - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ٤ / ١٩٤، و لسان العرب لابن منظور ٦ / ٣٢١-٣٢٢، و المعجم الوسيط (٢٠١)، تأليف إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية ، ٢ / ٦٣٩-٦٤٠ ، والتوجيه النحوي واللغوي لقراءات قرآنية، تأليف أ. د خليل إبراهيم حمودي السامرائي، وأ. د صالح حيدر الجميلي ، مؤسسة الرسالة- بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٨-٢٠٠٧م، ص ١٢٦ .

(٤)- الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب ، الأستاذ هاني المبارك، والدكتور شوقي أبو خليل، دار الفكر- دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م، ص ١٢ .

المبحث الأول:

تعایش الأنبياء مع أقوامهم (النبي ﷺ أنموذجاً)

إن قارئ سيرة النبي ﷺ يجد أن الرفق واللين من أبرز الآداب التي تعايش بها النبي ﷺ بين الناس والتي كانت سبباً في هداية الكثير من الكفار وخروجهم من ضلالهم إلى نور الحق والرشاد ، فكم عالج من نفوس أرادت الانزلاق في مستنقع الذنوب والعصيان ، كل هذا نجده في ما نقله أهل السير والأثر عن رسول الله ﷺ حيث أوجزوا هذا المنهج بعبارات فقالوا :

كان رسول الله ﷺ يرغب أصحابه ولا ينفردهم ، ويكرم كريم كل قوم ويؤليه عليهم ، ويحذر الناس ويحترس منهم ، من غير أن يطوي عن أحد منهم بشره ولا خلقه ، يتفقد أصحابه ويعطي كل من جلسائه نصيبه ، لا يحسب جلسيه أن أحداً أكرم عليه منه ، من جالسه أو قاربه لحاجة صابره ، حتى يكون هو المنصرف عنه .

ومن سألته حاجة لم يرده إلا بها ، أو بميسور من القول ، فقد وسع الناس خلقه ، فصار لهم أباً ، وصاروا عنده في الحق سواء ، وكان دائم البشر ، سهل الطبع ، لين الجانب ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب ولا فحاش ، ولا عتاب ، ولا مداح ، يتغافل عما لا يشتهي ، ولا يقنط من قصده ، وكان يمازح أصحابه ، ويخالطهم ويجاريهم ، ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ، ويجيب دعوة الحر والعبد والأمة والمسكين ، ويعود المرضى في أقصى المدينة ويقبل عذر المعتذر (١) .

نماذج من اللين في دعوة الرسول ﷺ :

(١)- ينظر: دلائل النبوة معرفة أحوال صاحب الشريعة ، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق: الدكتور عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية- بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٥م ، ١/ ٢٨٩ ، وخلاصة سير سيد البشر ، محب الدين أبو جعفر بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر الطبري ، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة - السعودية - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، الطبعة: الأولى ، تحقيق: طلال بن جميل الرفاعي ١/ ٩٠ ، والمختصر الكبير في سيرة الرسول ﷺ ، عز الدين بن جماعة الكتاني ، دار البشير - عمان - ١٩٩٣م ، الطبعة: الأولى ، تحقيق: سامي مكي العاني ١/ ٧٥ ، وأخلاق النبي وآدابه ، عبد الله ابن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني ، دار المسلم للنشر والتوزيع - ١٩٩٨ ، الطبعة: الأولى ، تحقيق: صالح بن محمد الونيان ١/ ١١١ .

إن معاملة النبي ﷺ للناس جميعاً مؤمنين وغير مؤمنين لتكشف عن عظيم الآداب التي تعايش بها ﷺ مع الناس جميعاً فكان ذلك التعايش سبباً في هداية كثير من الناس إلى طريق الإسلام ، وسبباً في علاج النفوس المريضة .
ومن هذه الصور التي يبرز فيها جانب اللين في دعوة الرسول ﷺ ومعاملته للناس:

١- رسائل النبي ﷺ للملوك :

إن في رسائل النبي ﷺ إلى ملوك وزعماء العالم خير مثال في الدعوة بالرفق واللين، فقد استخدم النبي ﷺ هذا الأدب الدعوي مع ألد أعداء الإسلام :
من الأمثلة على ذلك رسالته إلى هرقل يقول:

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدَعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ وَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ.. ﴿قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَامٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾^(١) (٢) .

ففي هذه الرسالة نرى أن النبي ﷺ استعمل في دعوته الرأفة واللين واللفظ وفي هذا يقول الإمام النووي رحمه الله : (لم يقل إلى هرقل فقط بل أتى بنوع من الملاحظة فقال عظيم الروم أي الذي يقدمونه وقد أمر الله تعالى بإلانة القول لمن يدعى إلى الإسلام فقال تعالى: ﴿ اَدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾^(٣)، وقال تعالى : ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَنَّا﴾^(٤) (١) .

(١)- سورة آل عمران: الآية ٦٤ .

(٢)- أخرجه مسلم ١٣٩٦/٣، باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام ، رقم الحديث (١٧٧٣) ، وينظر : السيرة الحلبية ٢٨٧ / ٣ .

(٣)- سورة النحل : الآية ١٢٥ .

(٤)- سورة طه : من الآية ٤٤ .

إن آداب التعايش تبرز في أن النبي ﷺ لم يذكر واحدا من الكفرة بكفره ، ولم يعدد معايبه وهو يذكره بلقبه (عظيم الروم- عظيم فارس - عظيم القبط) ويرقق قلبه بقوله (سلام على من اتبع الهدى) ثم يرغبه ويحفزه (يوتك الله أجرك مرتين) أو يرهبه لا بقوة السلاح والعدة والعتاد ولكن بالإثم والذنب (فان عليك إثم الاريسيين - القبط - المجوس) فخطاب الملوك والزعماء والرؤساء وأصحاب المكانة في المجتمع من العلماء والمربين ، ليس كخطاب العوام وهو فن يحتاج الدعاة إلى الدراية به والاقتداء به^(٢).

فإننا نعيش في عصر تصدى للدعوة فيه بعض الذين لا يعرفون آداب الدعوة باللين وأساليبها وأوقاتها وطرقها ، فأصبحوا يدعون بغلظة ويهربون بقوة السلاح، فنفر منهم الفقير قبل الغني ، والمصيب قبل المخطئ ، والعامي قبل صاحب الجاه والسلطة، فأخطأوا سلوك آداب التعايش مع الناس فنفروا منهم.

٢- الأعرابي الذي بال في المسجد :

عن أبي هريرة رضي الله عنه - قال : (قام أعرابي فبال في المسجد فتناوله الناس فقال لهم النبي ﷺ دعوه وأهريقوا على بوله سجلا من ماء أو ذنوبا من ماء فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين، ثم قام النبي ﷺ والأعرابي خلفه فبينما هم يصلون إذ قال الأعرابي اللهم ارحمني ومحمدا ولا ترحم معنا أحدا فلما انصرف رسول الله ﷺ قال له لقد تحجرت واسعا)^(٣).

يبرز في هذا الحديث خفض الجناح والتعامل باللطف واللين مع الرعية والأتباع إذا ما اخطأوا ، وفي شرح هذا الحديث يقول ابن بطال: (في هذا الحديث أدب عظيم من آداب الإسلام ، وحض على الرفق بالجاهل والصفح والإغضاء عنه حين بال في المسجد المعظم

(١)- شرح النووي على مسلم، لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٣٩٢، الطبعة: الطبعة الثانية، ١٠٨ / ١٢ .

(٢)- ينظر: فن التعامل مع الآخرين، محمد سعيد مرسى، مؤسسة اقرأ، الطبعة الاولى ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٣م، ص ٦١ .

(٣)- أخرجه البخاري ٢٢٤٢/٥، باب الرفق في الأمر كله، رقم الحديث (٥٦٧٩)، ومصنف عبد الرزاق ٤٢٣/١، باب البول في المسجد، رقم الحديث (١٦٥٨) المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٣، الطبعة: الثانية، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، وصحيح ابن حبان ٢٤٥/٤، ذكر البيان بان النجاسة المتفشية على الأرض إذا غلب عليها الماء الطاهر حتى أزال عينها طهرها، رقم الحديث (١٤٠٠) .

الذي الصلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه ، فدل ذلك على استعمال الرفق بالجاهل – بخلاف العالم- وترك اللوم والتثريب عليه^(١) .

فالدرس الذي نخرج به من هذا المشهد أن الداعية عليه أن لا يعالج الخطأ بخطأ يكون سببا في شقوة المخطئ ، وعاملا قويا من عوامل خروجه من الإسلام إلى الكفر، هذه هي الآداب الدعوية التي تعايش بها إمام الدعوة ﷺ مع المخطئ الذي يضع نجاسته في أعظم البقاع وهو المسجد النبوي الشريف، فكان لهذه المعاملة التي تعامل بها النبي ﷺ مع الأعرابي باليسر والسماحة في هذه الواقعة الأثر الحسن في نفس الأعرابي والأتباع ، فامتلاً قلبه حبا للإسلام ، وازداد تعلقا بالنبي ﷺ ، كيف لا وهو يرى هذا العطف والحنان من معلمه ومرشده ﷺ .

المبحث الثاني: آداب تعايش المسلمين فيما بينهم

المطلب الأول: آداب التعايش بين الآباء والأبناء

مما لا شك فيه أن الوالدين هما سبب وجود الإنسان ، وهما مصدر وجوده ، وهما اللذان تعهداه منذ صغره بالحفظ والرعاية ، وتعهداه بالتربية الصالحة والقيمة حتى كبر وشب ، وصار رجلا ، ومن هنا أوجب الإسلام على الأبناء طاعتهم وبرهما، ومقابلة إحسانهما بإحسان ، بل ربط الله ﷻ بين وجوب طاعته وعبادته وبين وجوب طاعة الوالدين ، ثم وضع الإسلام حقا وواجبا في عنق الوالدين تجاه أبنائهم ، وهو وجوب تربيتهم على الآداب والأخلاق الحميدة ، ومعاملتهم بال العناية والعطف والرحمة ، لأن ذلك ادعى لاستجابة أبنائهم إلى توجيهاتهم وإرشاداتهم .

أولا: آداب تعايش الأبناء مع الآباء:

لقد وَجَّهَتْ آيات القرآن الكريم الأبناء أن يتعايشوا مع آبائهم بالآداب وأمرهم بالإحسان إلى الوالدين:

جاء الأمر بالتعايش مع الوالدين بأدب الإحسان إليهما في ستة مواضع، خمسة بلفظ (إحسانا) وواحد بلفظ (حُسْنا)، من أهم هذه الآيات التي تتكلم على الإحسان إليهما قوله تعالى:

(١)- شرح ابن بطلال ١٧ / ٢٧٥، وينظر : صور من سماحة الإسلام، الدكتور عبد العزيز بن عبد الرحمن أبن علي الربيعه، الرياض، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦، ص ١٣ .

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۖ إِنَّمَا يُبَلِّغُنَّ عَنْكَ الْقَكْبَرُ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لِّمَآ أَفِي وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝٣٣﴾ وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ۝^(١) .

ابتدأت الآية بقوله: ﴿وَقَضَىٰ﴾ القضاء : (معناه الحكم، الجزم، البت الذي لا يقبل النسخ)^(٢) ، وهذه الكلمة تحمل معاني: (حكم ، و ألزم ، و اوجب ، وأمر، وأتم ، انقطع ، وفرغ منه ، وأمضى)^(٣) ، فالقضاء إذا علق بفعل النفس فالمراد به الإتمام والفراغ ، وإذا علق على فعل الغير فالمراد به الإلزام. ونظير الأول: قوله تعالى: ﴿فَقَضَيْنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ﴾^(٤) ، ويقال في الحاكم عند فصل الخصومة (قضى بينهما) ، ونظير الثاني: قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ وكذلك يستعمل في الإعلام ، قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾^(٥) يعني أعلمنا^(٦) ، ولذلك فإن من اللطائف أن الأمر بالإحسان للوالدين جاء بعد هذه الكلمة التي تحمل كل هذه المعاني ، فكأن النص يقول: أمر الله تعالى بعبادة نفسه ، وبالإحسان للوالدين ، أمرا جازما ، وحكما قاطعاً ، وحتما مبرما، لا ينقضه ناقض ولا يتناول عليه متناول لأنه أمر الله ﷻ^(٧) ، ثم انه اتبع الأمر بعبادته ، بالأمر ببر الوالدين لأنهما السبب الحقيقي لوجود الإنسان وهو السبب الظاهري ، فمعاملة الإنسان للاله بالعبودية ، ومعاملة الوالدين بإظهار الشفقة عليهما لكثرة

(١)- سورة الإسراء : الآية ٢٣-٢٤ .

(٢)- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ١٤٧ / ٢٠ .

(٣) ينظر: لسان العرب لابن منظور، مادة: (قضى) ١٨٦/١٥ ، والمصباح المنير للفيومي ١٥٤/١ .

(٤)- سورة فصلت : جزء من الآية ١٢ .

(٥)- سورة الإسراء: جزء من الآية ٤ .

(٦)- ينظر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ١٥٧/٥ .

(٧)- ينظر: فتح القدير للشوكاني ٢١٨/٣ ، و زهرة التفاسير لأبي زهرة ٤٣٦٠/٨ .

إنعامهما على الإنسان؛ ثم إنه قال: ﴿وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا﴾ ولم يقل (وإحسانا بالوالدين) فتقديم ذكرهما يدل على شدة الاهتمام بهما، وجاء لفظ ﴿إِحْسَنًا﴾ بلفظ التنكير، والتنكير هنا يدل على التعظيم ، والمعنى: وقضى ربك أن تحسنوا إلى الوالدين إحسانا عظيما كاملا ، والتعريف في (الوالدين) للاستغراق باعتبار والدي كل مكلف ممن شملهم الجمع في ﴿الْأَقْبَدُوا﴾^(١) ، إن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ، ومنها بر الوالدين ، ثم إن العبادة أصل معناها الذل ، يقال طريق معبد إذا كان مذللا قد وطئته الأقدام^(٢) ، ولكن العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل ومعنى الحب^(٣) ، ولذلك اقترن الإحسان لهما بالعبادة ، فأول آداب التعايش مع الوالدين إذن هو حبهما ، لأن المحبة تقتضي طاعة المحبوب ، والتودد إليه بكل ما يحب .

ثم بين رب العالمين آداب التعايش مع الوالدين عند الكبر فقال: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ

الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا﴾ قرأ حمزة والكسائي (إِمَّا يَبْلُغَانِ) بلفظ التنثية وحجتها أن الوالدين تقدم ذكرهما ، فأخرج الفعل على عددهما مثنى ، وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم ، وابن عامر ﴿يَبْلُغَنَّ﴾ بلفظ الوجدان، لأنه انصرف إلى قوله ﴿أَحَدُهُمَا﴾ يعني: إن يبلغ الكبر^(٤)،

(١)- ينظر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ١٤٨/٢٠-١٤٩، و التحرير والتنوير لابن عاشور ٦٨/١٥ .

(٢)- المعجم الوسيط للزيات ٥٧٩/٢ .

(٣)- ينظر: العبودية ، لشيخ الإسلام تقي الدين احمد بن تيمية ، دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨١م-١٤٠١هـ ، ص ٦ .

(٤)- ينظر: السبعة في القراءات لابن مجاهد ٣٧٩ / ١، و الحجة في القراءات لابن خالويه ص ٢١٦، و إتحاف فضلاء البشر للدمياطي ص ٣٥٦ .

وقوله: **﴿إِنَّمَا﴾** هي (إن) الشرطية زيدت عليها (ما) تأكيداً لها ، ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو أفردت (إن) لم يصح دخولها، وقوله: **﴿رَبِّكَ﴾** أسند الحكم إلى **﴿رَبِّكَ﴾** لأنه الخالق المنشئ المربي الذي خلقه ، وهو الذي انزل الآيات ، فذكر الرب ليكون الحكم مشتملاً على أسبابه^(١)، وخص حالة **﴿الْكِبَرِ﴾** لأنها بطول المدى توجب الاستئصال عادة ، ويحصل الملل ، ويكثر الضجر فيظهر غضبه على أبويه ، ثم ذكر بعدها **﴿أَوْ كِلَاهُمَا﴾** للتحذير من اعتذار الابن لنفسه عن التقصير بان حالة اجتماع الأبوين أخرج عليه ، فلأجل ذلك ذكرت الحالتان وأجرى الحكم عليهما على السواء، فكانت جملة (فلا تقل لهما أف) بتمامها جواباً لـ **﴿إِنَّمَا﴾**^(٢)، ثم بين آداب التعايش معهما بالقول والفعل ، فبدأ بآداب التعايش معهما بالقول ، فقال : **﴿فَلَا تَقُلْ لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيماً﴾** ولا تنهرهما وقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيماً ذكر أدنى مراتب الأذى **﴿أُفٍّ﴾** في مقابل مطلق الإحسان **﴿إِحْسَنًا﴾** والمعنى لا تؤذوهما أدنى أذية^(٣) ، ثم عطف على التأفف بالنهي عن النهر الذي هو الزجر والكلام الخشن لئلا يحسب أن ذلك تأديبا لصلاحهما وليس بالأذى^(٤)، ثم بين صفة القول الذي يعامل به الوالدان فقال: **﴿وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيماً﴾** فجاء القول بصيغة المفعول المطلق الذي فيه التأكيد ، ووصف القول أيضاً ليبين أن القول الكريم هو القول الجميل واللين اللطيف مع التأدب والحياء والاحتشام^(٥)، إن هذه الآيات بينت آداب التعايش مع الوالدين بالقول، وآداب التعايش معهما بالفعل، لأن الإحسان كلمة تقع على كل فعلة تستحسنها العقول، وتستلذها الطباع من قول وفعل، فأدب الإحسان معهما يكون بالبر بهما مع اللطف ولين الجانب، فلا يغلظ لهما في

(١)- ينظر: الكشف للزمخشري ٢/ ٦١٥، و زهرة التفاسير لأبي زهرة ٨/ ٤٣٦٢ .

(٢)- ينظر: أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن ذن عبد الله ابن العربي، دار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر - لبنان، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ٣/ ١٨٥، والتحريير والتنوير لابن عاشور ١٥/ ٦٩ .

(٣)- ينظر : تيسير الكريم الرحمن للسعدي ١/ ٤٥٦، والتحريير والتنوير لابن عاشور ١٥/ ٦٧ .

(٤)- ينظر: إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٥/ ١٦٦، والتحريير والتنوير لابن عاشور ١٥/ ٧٠ .

(٥)- ينظر: فتح القدير للشوكاني ٣/ ٢٢٠، والإعراب المفصل لكتاب الله المرتل ٦/ ٢٦١ .

الجواب، ولا يحد النظر إليهما، ولا يرفع صوته عليهما ، بل يكون بين يديهما مثل العبد بين يدي سيده تذلاً لهما^(١) .

إن من آداب التعايش معهما أن لا تتأفف من شيء تراه منهما مما يتأذى به الناس ، ولكن اصبر على ذلك منهما ، واحتسب الأجر عليه كما صبرا عليك في صغرك ، فالإنسان إذا كبرت سنه ضاق صدره ، وكثرت مداخلاته في كل صغيرة وكبيرة ، ومنهم من يُرد إلى أرذل العمر، فهما يحتاجان منك إلى صبر على ذلك^(٢)، يقول سيد قطب: (وهي أول مرتبة من مراتب الرعاية والأدب ألا يند من الولد ما يدل على الضجر والضييق ، وما يشي بالإهانة وسوء الأدب)^(٣)، ومن آداب التعايش معهما بإحسان هو أن تقول لهما قولاً كريماً، أي: قولاً جميلاً وهي مرتبة أعلى إيجابية، أن يكون خطابه لهما بشيء من الإكرام والاحترام ، والمراد منه أن يخاطبهما بالكلام المقرون بأمارات التعظيم والاحترام ، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو أن يقول له يا أبتاه يا أماه^(٤)، عن عائشة قالت: أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل ومعه شيخ، فقال له: (يا فلان ، من هذا معك)؟ قال أبي . قال: " فلا تمش أمامه ولا تجلس قبله ولا تدعه باسمه ولا تستسب له"^(٥) .

(١)- ينظر: بر الوالدين، للإمام الحافظ أبي بكر محمد بن خلف القرشي الطرطوشي ، تحقيق: محمد عبد الحكيم القاضي، مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، ص ١١٥-١١٦، و روح المعاني للآلوسي ٨ / ٥٤ .

(٢)- ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان ١٦ / ٧٤، و أحب الأعمال إلى الله ، لعبد رب النبي علي أبي السعود، تقديم مناع القطان ، مكتبة وهبة- ١٤ شارع الجمهورية -عابدين ، ص ٩٢ .

(٣)- في ظلال القرآن لسيد قطب ٥ / ١٤ .

(٤)- ينظر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ٢٠ / ١٥٢، و في ظلال القرآن لسيد قطب ٥ / ١٣ .

(٥)- أخرج الهيثمي في مجمع الزوائد ٨ / ١٣٧، باب ما جاء في البر وحق الوالدين ، :

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧هـ،

بتحريه الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر ، ، طبعة دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤١٢ هـ، الموافق

١٩٩٢ ميلادي. وقال: (رواه الطبراني في الأوسط وقال لا يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا بهذا

الإسناد عن شيخه علي بن سعيد بن بشير وهو لين وقد نقل ابن دقيق العيد أنه وثق

ومحمدا بن عروة بن البرند لم أعرفه وبقيته رجاله رجال الصحيح) .

ثم بين رب العالمين آداب التعايش معهما بالفعل ، جاء ذلك في قوله تعالى : ﴿وَأَخْفِضْ

لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ هي صورة مجسدة رسمتها الآية لطاعة الوالدين وبرهما ليتدبراها البنون ، ففي الآية استعار خفض الجناح في معنى التواضع للوالدين والرفق بهما ، والرحمة ، وإضافته للذل للبيان والمبالغة في المعنى كأنه قال الجناح الذليل^(١) ، قال الإمام الزركشي في بيان حكمة هذه الاستعارة: (جعل ما ليس بمرئي مرئيا لأجل حسن البيان ولما كان المراد خفض جانب الولد للوالدين بحيث لا يبقى الولد من الذل لهما والاستكانة مركبا، احتيج من الاستعارة إلى ما هو أبلغ من الأولى ، فاستعير الجناح لما فيه من المعاني التي لا تحصل من خفض الجناح لأن من ميل جانبه إلى جهة السفلى أدنى ميل صدق عليه أنه خفض جانبه، المراد خفض يلصق الجنب بالإبط ولا يحصل ذلك إلا بخفض الجناح كالطائر)^(٢) ، وقوله: ﴿مِنَ الرَّحْمَةِ﴾

(مِنْ) ابتدائية على سبيل التعليل أي: من أجل إفراط الرحمة لهما والشفقة عليهما ، والتعريف في ﴿الرَّحْمَةِ﴾ عوض عن المضاف إليه ، والمقصود اعتياد النفس على التخلق بالرحمة باستحضار وجوب معاملته إياهما بها حتى تصير له خلقا، لا رحمة عن خوف أو طمع بما في أيديهما من متاع الدنيا^(٣) .

إن آداب التعايش مع الوالدين بالفعل أي التعامل والتصرف، قد بينته الآية في قوله تعالى:

﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ وهذا الأدب يعني أن تقدم كل صور العطف والإحسان والتكريم العملية ، التي يستطيع أن يقوم بها رحمة بوالديه ، من خدمة ومساعدة ، وعطاء وتكريم واحترام وسهر ، وصبر ، وبذل وتضحية ، وتواضع وتذلل وتحبب ، فكل ذلك من خفض جناح الذل، فهي الرحمة ترق وتلطف حتى وكأنها الذل الذي لا يرفع عيناً ، ولا يرفض أمراً^(٤) .

(١)- ينظر: تفسير البيضاوي ٣/ ٤٤٠، و التسهيل لعلوم التنزيل للغرناطي ٢/ ١٧٠ .

(٢)- البرهان في علوم القرآن للزركشي ٣/ ٤٣٣ .

(٣)- ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل للغرناطي ٢/ ١٧٠، و التحرير والتنوير لابن عاشور ١٥/ ٧١ .

(٤)- ينظر: أحب الأعمال إلى الله ، ص ٩٣ .

وفي قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْنِي صَغِيرًا﴾ هذا الدعاء وفاء من الولد لوالديه في حال غيابهما ، ولفظ الرحمة جامع لكل الخيرات في الدين والدنيا ، والمعنى: ربّي افعل بهما هذا النوع من الإحسان كما أحسننا إليّ في تربيتهما إياي^(١) .
وقد اختلف المفسرون في هذه الآية على ثلاثة أقوال^(٢) :

المطلب الثاني: آداب التعايش بين الزوجين •

إن للحياة الزوجية في القرآن العظيم ، نصيباً وافراً في رياض السعادة والمودة والمحبة ، فالقرآن الكريم وضع قواعد الحياة الزوجية ، مما يدل على أهمية الحياة الزوجية ، إذ ركزت الآيات القرآنية على التعايش بين الزوج والزوجة ، وبين الزوجة والزوج ، وسأتكلم أولاً على آداب تعايش الزوج مع زوجته •

أدب تعايش الزوج مع زوجته :

الكلام على آداب الزوج مع زوجته مقدم على آداب الزوجة مع زوجها ، والسبب في ذلك هو أن المرأة ضعيفة مثل اليتيم ، فهي محتاجة إلى عطف ورحمة وحسن رعاية ، ولقد حث القرآن الكريم الرجال على القيام بحقوق أزواجهم ، وكذلك أمر النبي ﷺ الرجال أن يستوصوا بالنساء خيراً^(٣) ، فقال: "من كان يؤمن بالله، واليوم الآخر، فإذا شهد أمراً فليتكلم بخير، أو ليسكت، واستوصوا بالنساء، فإن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، إن ذهبت تقيمُهُ كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، استوصوا بالنساء خيراً"^(٤) ، ولذلك فإن أبرز آداب تعايش الزوج مع زوجته ، هي:

(١)- ينظر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ١٥٣/٢٠ •

(٢)- ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ٦٨/١٥، والناسخ والمنسوخ، لأحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس أبي جعفر، تحقيق: د. محمد عبد السلام محمد ، مكتبة الفلاح - الكويت - ١٤٠٨ ، الطبعة: الأولى ، ص ٥٤٥ ، و التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ١٥٣/٢٠ •

(٣) - ينظر: السلوك الاجتماعي في الإسلام ، لحسن أيوب ، دار الندوة الجديدة- بيروت لبنان ، ص ٢٠٣ •

(٤) - أخرجه مسلم ١٠٩١/٢ ، باب الوصية بالنساء ، رقم الحديث (١٤٦٨) •

المعاشرة بالمعروف ، والرعاية الدينية وحسن التوجيه ، والإنفاق عليها ، والعدل في القسمة العادلة بين الزوجات ، وإعطائها حقها الجنسي ، وحمايتها وكف الأذى عنها ^(١) ، وسأتكلم على أهم هذه الآداب:

١: المعاشرة بالمعروف:

جاء الأمر بالتعايش مع الزوجة بأدب المعاشرة بالمعروف في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرْتَوُوا النِّسَاءَ كَرَاهًا وَلَا تَضْلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ ^(٢) .

تتحدث هذه الآية عن معاملة الجاهلية للمرأة ، إذ كانت بعض الجاهلية لا تعرف للمرأة حقوقها ، و كانوا يتخذونها أشبه بالسلعة ، ويتخذونها للتسلية ومادة للتنشهي والغزل العاري المكشوف ، فجاء الإسلام ليرفع عنها هذا كله ، ويرفع مستوى

٢: الرعاية الدينية وحسن التوجيه:

إن من واجبات الزوج تجاه زوجته أن يعلمها كل ما تحتاج من أمور دينها، جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ ^(٣) .

جاء هذا النص بعد موعظة أزواج النبي ﷺ لتنبيه المؤمنين على عدم الغفلة عن موعظة أنفسهم ، وموعظة أهلهم ، أوجب النص على كل مؤمن أن يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر ، للأقرب فالأقرب ، لا يصدده في ذلك خوف على انقطاع مودة ، أو لحوق أذى ^(٤) ، فابتدأت الآية بخطاب المؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ أي: يامن صدق الله ورسوله ، أحفظوا

(١)- ينظر: آداب الحياة الزوجية ، للشيخ خالد عبد الرحمن العك ، دار المعرفة – بيروت ، الطبعة الأولى: ١٩٩٦ م ، ص ١٧٧-١٨٥ ، والسلوك الاجتماعي ، لحسن أيوب ، ص ٢٠٣-٢١٤ .

(٢) - سورة النساء: الآية ١٩ .

(٣)- سورة التحريم: الآية ٦ .

(٤)- ينظر: نظم الدرر للبقاعي ١٩٦/٢٠ ، والتحريير والتنوير لابن عاشور ٣٦٥/٢٨ .

أنفسكم وأهليكم ، وأبعدوها من النار ، وذلك بان تجعلوا وقايتها بالتأسي والافتداء بالنبي ﷺ ، في أدبه مع الخلق والخالق ، فقد كان لينه لمن يستحق اللين من الخلق تعظيما للخالق ، فعاملوه قبل كل شيء بما يعاملكم من الآداب، وكذا كونوا مع بقية خلقه (١) .

ومعنى (قوا) : هو فعل أمر من الوقاية ، يقال وقاه وقاية ، بالكسر أي : صانه ، ووقاه الله السوء ، حفظه ، والوقاء صيغة مبالغة ، وهو ما وقيت به شيئا (٢) .

قال الإمام علي عليه السلام معنى: ﴿قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ : (علموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبواهم)

(٣) ، وقال ابن عباس عليه السلام : (أدبواهم وعلموهم الخير تقوهم بذلك نارا) (٤) ، وقال مجاهد : (اتقوا الله ﷻ ، وأوصوا أهليكم بتقوى الله ، وأدبواهم) (٥) ، والمراد اتقاء النار بترك المعاصي ، وتأديب الأهل ونصحهم وتعليمهم ما ينجيهم من النار ، فعلى الزوج ينبه أهله ويعظهم إلى عمل الخير بلطف وتودد ومحبة ، قال النبي ﷺ : "رَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى وَأَيَّقَظَ امْرَأَتَهُ فَصَلَّتْ ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ فِي وَجْهِهَا الْمَاءَ ، رَحِمَ اللَّهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّتْ ، وَأَيَّقَظَتْ زَوْجَهَا ، فَإِنْ أَبَى نَضَحَتْ فِي وَجْهِهِ الْمَاءَ" (٦) .

(١)- ينظر: نظم الدرر للبقاعي ١٩٧/٢٠ ، و حقائق الروح والريحان ٤٧٢/٢٩ .

(٢)- ينظر: لسان العرب لابن منظور ٤٠١/١٥ ، و المصباح المنير للفيومي ٦٦٩/٢ ، والمعجم الوسيط للزيات ١٠٥٢/٢ .

(٣)- الدر المنثور للسيوطي ٢٢٥/٨ .

(٤)- تنوير المقباس من تفسير ابن عباس للفيروز آبادي، ص ٤٧٧ .

(٥)- تفسير مجاهد ٦٨٣/٢ .

(٦)- أخرجه أبو داود ٧٠/٢ ، باب الحث على قيام الليل، رقم الحديث (١٤٥٠) ، قال ابن مري في خلاصة الأحكام ٥٨٧/١ ، باب استحباب نية القيام عند النوم، رقم الحديث: (١٩٩٣) : (رواه أبو داود وغيره بإسناد صحيح) ، خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام ، تأليف: يحيى بن مري بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام الحزامي ، الحوراني ، أبو زكريا ، محيي الدين الدمشقي الشافعي ، تحقيق: حسين إسماعيل الجمل ، مؤسسة الرسالة - لبنان - بيروت - ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م ، الطبعة: الأولى .

ومعنى الأهل : الزوجة ، يقال أهل الرجل أي زوجته ، وتأهل إذا تزوج ، ويطلق الأهل أيضا على الأقارب والعشيرة والصاحب ، وإن كان الأصل في الأهل القرابة^(١) .
جاء في تفسير المراغي : (والمراد بالأهل ما يشمل الزوجة والولد والعبد والأمة)^(٢) .

ومن الطائف البلاغية في قوله: ﴿فَوَافِسُكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا﴾ :

١- **المجاز المرسل :** إذ ذكر المسبب وأراد السبب ، أي: لازموا على الطاعة لتقوا أنفسكم وأهلكم من عذاب الله^(٣) .

٢- **الاستعارة :** إذ شبه الموعظة بالوقاية من النار على وجه المبالغة في الموعظة ، وفي تنكير (نارا) تعظيم وتهويل وتخويف منها^(٤) .

٣- **الإيماء:** في الآية إلى انه من الواجب على الرجل أن يتعلم ما يجب على المسلم من فرائض الدين ، وتعليم هذه الفرائض إلى الزوجة والولد^(٥) .

ثم زاد الأمر توضيحا ببيان أوصاف هذه النار فقال: ﴿وَفُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ الوُود : بالفتح الحطب، وكل مادة تتولد باحتراقها طاقة حرارية ، وبالمضم للمصدر (الوُود) نفس النار، أي انتقاد النار^(٦) .

والمعنى : أيها الناس أحفظوا أنفسكم وأهلكم ، من نار حطبها الكفار من الإنس والجن ، والحجارة ، والحكمة من الجمع بين الحجارة والإنسان ، بيان لغاية إحراقها وشدة قوتها ، فان

(١)- ينظر: لسان العرب لابن منظور ٣٠/١١، والمصباح المنير للفيومي ٢٨/١، و المعجم الوسيط للزيات ٣١/١ .

(٢)- تفسير المراغي ١٦٢/٢٨ .

(٣)- ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان ٥٠١/٢٩، و صفوة التفاسير للصابوني ٣٨٩/٣ .

(٤)- ينظر: التحرير والتنوير لابن عاشور ٣٦٥/٢٨ .

(٥)- ينظر: روح المعاني للالوسي ١٥٦/٢٨، و تفسير المراغي ١٦٢/٢٨ .

(٦)- لسان العرب لابن المنظور ٤٦٥/٣، والمصباح المنير للفيومي ٦٦٧/٢ ، والمعجم الوسيط للزيات ١٠٤٨/٢ .

اتقاد النار بالحجارة مكان الحطب ، يكون من زيادة حر تلك النار^(١) التي وصفها النبي ﷺ بقوله: "نَارُكُمْ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ"^(٢)

ثانيا: آداب تعايش الزوجة مع زوجها :

إن الحياة الزوجية لا يكتب لها الدوام ما لم تكن مبنية على المودة والرحمة بين الزوجين ، فإذا كان للزوج آداب للتعايش يجب أن يحافظ عليها لدوام الحياة الزوجية، فان للزوجة أيضا آدابا للتعايش مع الزوج إذا قصرت بها كانت سببا في زوال الحياة الزوجية ، ومن أهم هذه الآداب:

حفظ غيبة الرجل في عرضه و ماله ، وكتمان أسراره ، وتأديب أولاده ، والتزين للزوج ، والنظافة في المنظر والمنزل، وخدمته في البيت ، وحسن معاشرة أهل الزوج ، وحسن الخلق ، وشكر صنيعه^(٣) ، وسأتكلم على أهم هذه الآداب:

١: حفظ غيبة الرجل في عرضه وماله:

من آداب تعايش الزوجة مع زوجها أن تحافظ على كل ما يخص الرجل ، ولاسيما عرضه ، وماله ، جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ فَالَّذِينَ حَسِبْتَ فَزِنْتُمْ حَفِظْتُ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ۗ وَالَّذِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُمْ فَعِظُوهُمْ ۖ وَاهْجُرُوهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ وَاصْرَبُوا ۚ إِنَّا طَعَنَكُمْ فَلَا تَبْعُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۚ إِنَّا اللَّهُ كَانَتْ عَلَيْكَ كِبِيرًا ۖ﴾^(٤) .

(١)- ينظر: نظم الدرر للبقاعي ١٩٧/٢٠، و حدائق الروح والريحان ٤٧٢/٢٩ .

(٢)- أخرجه البخاري ٣ / ١١٩١، باب صفة النار وأهلها ، رقم الحديث (٣٠٩٢) .

(٣)- ينظر: آداب الحياة الزوجية ، لخالد العك ، ص ١٨٧- ١٩٩ ، والسلوك الاجتماعي ، لحسن أيوب ، ص ٢٢٤-٢٢٦ .

(٤)- سورة النساء : الآية ٣٤ .

ذكر المفسرون أن سبب نزول هذه الآية أن سعد بن الربيع وكان من النقباء، نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن أبي زهير، وهما من الأنصار، فلطمها، فانطلق أبوها معها إلى النبي ﷺ فقال: أفرشته كريمتي فلطمها! فقال النبي ﷺ: لتقتص من زوجها. وانصرفت مع أبيها لتقتص منه، فقال النبي ﷺ: ارجعوا، هذا جبريل عليه السلام اتاني. فانزل الله تعالى هذه الآية، فقال رسول الله ﷺ: "أردنا أمرا وأراد الله أمرا، والذي أراد الله خير" ورفع القصاص^(١).

معنى القوامة: من قوام الشيء بالفتح والكسر، معناه عماده الذي يقوم به وينتظم، وقوام الأمر ما يقوم به، يقال قوام أهل بيته الذي يقيم بشأنهم، والقوامة معناها القيام على الأمر، أو المال، أو ولاية الأمر^(٢).

٣- آداب عامة للتعايش في المجتمع:

إذا كان الالتزام بآداب التعايش بين أفراد الأسرة ضروريا لدوام الحياة، فهو بين أفراد المجتمع اشد ضرورة، فإن الحياة تصبح في ضنك عند الإعراض عن هذه الآداب، ولذلك كانت الأوامر الإلهية أغلبها حول الحفاظ على لبنات هذا المجتمع، فقد وضع رب العزة الكثير من هذه الآداب لدوام هذه الحياة، وسوف أتكلم على ثلاثة منها:

أولاً: التحية بالسلام: لقد جاء الإسلام بكل ما يرفع الفوارق الاجتماعية بين طبقات المجتمع، لكي يصنع مجتمع التعايش فيه قائماً على كل ما يزرع المحبة في القلوب، ويلغي الفوارق بين الناس، فالكل سواسية عند الله تعالى، فكان الناس في زمن الجاهلية تقول لملوكها حياك الله، أي

(١)- ينظر: أسباب النزول للواحي، ص ١٥٥، وتفسير البيضاوي ١٨٤/٢، قال الزيلعي: (قلت: غريب بهذا اللفظ، وأقرب ما وجدته ما رواه ابن مردويه في تفسيره حدثنا أحمد بن علي النسائي ثنا ... عن علي قال: أتى النبي ﷺ رجل من الأنصار بامرأة له فقال: يا رسول الله إن زوجها فلان بن فلان الأنصاري وإنه ضربها فأبى وجهها فقال: ﷺ "ليس له ذلك" فنزلت: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى

النِّسَاءِ﴾ الآية، فقال ﷺ: "أردت أمرا وأراد الله غيره" انتهى)، تخريج الأحاديث والآثار للزيلعي ٣١٢/١.

(٢)- ينظر: لسان العرب لابن منظور ٤٩٧/١٢، والمصباح المنير للفيومي ٥٢٠/٢، والمعجم الوسيط للزيات ٧٦٨/٢.

يدعون له بطول الحياة ، فَبَدَّلَ الإسلام هذه التحية بالسلام^(١) ، جاء هذا في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِنَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾^(٢) .

ثانيا: العفو عن الزلات:

جاء الأمر بالعفو والصفح عن زلات المسيئين ، في معرض وصف المتقين ، فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾

﴿١٣٤﴾^(٣) . وهنا تتجلى آداب التعايش ؛ كيف لا وهو يرى ما يغيظه ويتجاوز فلا ينتقم ولا يظلم ، ولذلك مدح النبي ﷺ أهل هذه الصفة قائلا: (من كَظَمَ غَيْظًا وهو قَادِرٌ على أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللهُ عز وجل على رؤوسِ الْخَلَائِقِ يومَ الْقِيَامَةِ حتى يُخَيِّرَهُ اللهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ ما شَاءَ)^(٤)، وجعل النبي ﷺ للذي يكظم غيظه أعظم الأجر فقال: (ما من جُرْعَةٍ أَكْظَمُ أَجْرًا عِنْدَ اللَّهِ من جُرْعَةٍ غَيْظٍ كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءً وَجْهَ اللَّهِ)^(٥)، ومن اللطائف أن كظم الغيظ جاء ذكره بعد الإنفاق ، وكان الله يقول للناس اشق ما يكون على النفس هو بذل المال في حال الشدة ، واشق ما يكون على النفس هو حبس الغيظ مع القدرة على إمضائه^(٦) .

(١)- ينظر: التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب للرازي ١٠/١٦٧، و حدائق الروح والريحان ٦/ ٢٤٣ .

(٢)- سورة النساء : الآية ٨٦ .

(٣)- سورة آل عمران : الآية ١٣٤ .

(٤)- أخرجه أبو داود ٤/٢٤٨، باب من كظم غيظا ، رقم الحديث (٤٧٧٧)، وأخرجه الترمذي ٤/٣٧٢، باب في كظم الغيظ، رقم الحديث: (٢٠٢١) وقال : (حديث حسن غريب) .

(٥)- أخرجه ابن ماجه ٢/ ١٤٠١، باب الحلم ، رقم الحديث (٤١٨٩)، قال الكنانى في مصباح الزجاجة ٤/٢٣٣، باب الحزن والبكاء ، رقم الحديث (١٤٩٦) (هذا إسناد صحيح رجاله ثقات) مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، تأليف: أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكنانى، دار العربية - بيروت - ١٤٠٣، الطبعة: الثانية، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي .

(٦)- ينظر: نظم الدرر للبقاعي ٥/ ٧٣ .

المبحث الثالث: آداب تعايش المسلمين مع غيرهم:

تمهيد: ثوابت تدور حولها آداب التعايش مع غير المسلمين.

لا بد من معرفة الثوابت التي لا يمكن أن يتنازل عنها أو يتناساها المسلم في أثناء تعايشه مع غير المسلمين في داخل الدولة الإسلامية ، فإن التعايش مع غير المسلمين لا يعني أن يتنازل المسلم عن قيم الإسلام ومبادئه الأساسية ، ولا يعني التميع والإنحلال والذوبان معهم ، حتى لا تبقى للمسلم شخصية ولا للإسلام قيمة ، لذلك على المسلم معرفة ما يأتي خلال تحليه بآداب التعايش مع غير المسلم ^(١) :

أولاً: علو دين الإسلام وتفردته بين الأديان ، فالإسلام يعلو ولا يُعلَى عليه ، وهو الدين المحفوظ من التحريف والتغيير والتبديل ، وانه الدين الخاتم لجميع الأديان، وان نبينا محمداً ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين ، وان كل الكتب السماوية قد نسخت بنزول القرآن، فأى خلط في هذا المبدأ الثابت يؤدي إلى خلل في عقيدة المسلم وخلط في مفاهيمه الشرعية

ثانياً : حمل الغرب ومحاوريه على الاعتراف بالإسلام ورسوله ﷺ ، وليس المراد من هذا الاعتراف ان يتركوا دينهم ؛ وإنما المراد اعتراف الغرب بالإسلام ورسوله ﷺ ، مع حريتهم في البقاء على دينهم ، فان الغرب لا يزال ينكر هذين الأمرين ، وهذه هي المشكلة مع الغرب ، وهي مشكلة تقف عائقاً أمام دعوات التحاور والتقارب والتعايش مع أهل الأديان .

ثالثاً : حرية الاعتقاد ، فالإسلام ترك للناس الحرية الكاملة في اختيار الدين .

رابعا : معرفة حقيقة التسامح التي أمر بها الإسلام مع غير المسلم، وعدم الخروج عن مضمونها .

هناك جوانب في قضية الولاء والبراء ينبغي الالتفات إليها ، وإلا عكرت على دعاوي الحوار والتقارب والتعايش ^(٢) :

(١)- ينظر: التقارب والتعايش للدكتور محمد موسى ، ص ٣٦ - ٤٦ .

(٢)- التقارب والتعايش للدكتور محمد موسى ، ص ٣٨-٤١ .

أولاً: لا يعني الولاء والبراء عدم صلة الكافرين غير المحاربين والبر بهم والإحسان إليهم ،
فقد قال تعالى : ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ (١) .

ثانياً : عدم إيذاء أولئك بغير وجه حق ، فقد قال ﷺ : " من قَتَلَ مُعَاهِداً لم يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا " (٢) . فهذه غاية الإحسان ؛ فهل عاملنا أهل الأديان الأخرى بعشر معشار ما أمرنا الإسلام أن نعاملهم؟!!

ثالثاً: يجب الأخذ على يد المسلم إن ظلم واحداً من أولئك ، فلا يجوز أن نترك المسلمين يصلون على الكافرين وإن كانوا لهم ظالمين ، بل ينبغي إنصافهم والعدل معهم . قال تعالى : ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَا نُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (٣) .

المطلب الأول

آداب تعايش المسلمين مع أهل الكتاب:

مما لا شك فيه أن المراد بأهل الكتاب هم اليهود والنصارى ، والقران الكريم تحدث عنهم في آيات كثيرة ، ودعا المسلمين إلى التحلي بآداب التعايش معهم ما دام لا يوجد منهم تأمر على المسلمين ، وهذا هو المقصود بالتعايش السلمي ، وتتجلى هذه الآداب في ، العدل معهم ، ودعوتهم بالتي هي أحسن ، وعدم إكراههم على الإسلام، ووفاء العهد معهم ، وحفظ أنفسهم وعدم الاعتداء عليها ، وسأتكلم على أهم هذه الآداب من خلال بعض النصوص التي تحمل هذه المعاني :

أولاً: آداب التعايش معهم بالعدل :

(١)- سورة الممتحنة : الآية ٨ .

(٢)- أخرجه البخاري ١١٥٥/٣ ، باب إثم من قتل مُعَاهِداً بغير جُرم ، رقم الحديث (٢٩٩٥) .

(٣)- سورة المائدة : من الآية ٨ .

جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا كُفُورًا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءُ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ (١).

ذكر المفسرون أن سبب نزول هذه الآية هو أن النبي ﷺ ذهب إلى يهود بني النضير ليستعين بهم في دية العامريين اللذين قتلتهما عمرو بن أمية ، فوعدوا رسول الله ﷺ ، ثم هموا بغدره ، فأعلمه الله ﷻ بذلك ، فخرج عنهم ، وأمره الله ﷻ ألا يحمل ما كانوا عليه من الحالة المبغضة لهم على أن يخرج عن الحق فيها قضاء أو شهادة (٢) .

في هذه الآية خاطب رب العالمين عباده المؤمنين ، وحثهم على نوعين من التكليف ، هما تعظيم أمر الله تعالى ، والشفقة على خلقه .

ثانيا: آداب التعايش معهم بدعوتهم بالتي هي أحسن :

جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ (٣) .

إن أول آداب التعايش التي تتجلى في هذا النص ، هو أسلوب القران في دعوة أهل الكتاب ، فقد أعطاهم ميزة خاصة دون غيرهم فخاطبهم بأهل الكتاب ، وذلك ليستميل قلوبهم إلى دين الإسلام ، ويعطيهم علامة على أن هذا الدين هو مكمل لما سبقه من الأديان ، ولا يفرق بينها ، وهذا الأسلوب من أهم أساليب دعوة أهل الكتاب ، يقول الدكتور عبد الرحمن عطية : (يجب أن لا يغيب عن الأذهان أن الإسلام إمعانا منه في بر اليهود والمسيحيين ، سماهم "أهل الكتاب" تمييزا لهم عن المشركين الذين يعبدون آلهة غير الله ، فكان نداء القران لهم دائما بصيغة : " يا أهل الكتاب " أو بصيغة : " يا أيها الذين أوتوا الكتاب " تأكيدا للوشائج القائمة بين الرسالات

(١)- سورة المائدة : الآية ٨ .

(٢)- ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن للطبري ١/٤١٦ ، أحكام القران لابن العربي ٢/٨١ ، و

زاد المسير لابن الجوزي ٢/٣٠٧ .

(٣)- سورة العنكبوت : الآية ٤٦ .

السماوية كلها) ^(١)، ولا شك أن كلمة ﴿أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ هي من المجادلة بالتّي هي أحسن الذي أمر به رب العالمين في هذه الآية الكريمة، فإن وصف الإنسان بكلمة لا يحبها سبب في نفرتة ، وعدم استجابته لما يدعى اليه .

ثالثاً: من آداب التعايش معهم عدم إكراههم على الإسلام : جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ ^(٢)

إن هذه الآية التي من أكبر ما يستدل به على أن الإسلام لم ينتشر بالسيف والدم ، وإنما بالدعوة من غير إكراه ، فالرسول ﷺ لم يكره أحداً على دخول الإسلام في كل دعوته فعندما (قدم المدينة صالح اليهود وافرهم على دينهم ، فلما حاربوه ونقضوا عهده وبدؤوه بالقتال قاتلهم ، فمَن على بعضهم ، وأجلى بعضهم وقتل بعضهم ، وكذلك لما هادن قريشا عشر سنين لم يبدءهم بقتال حتى بدعواهم بقتاله ونقضوا عهده فعند ذلك غزاهم في ديارهم وكانوا هم يغزونه قبل ذلك ، كما قصدوه يوم أحد ويوم الخندق ويوم بدر أيضا هم جاءوا لقتاله ولو انصرفوا عنه لم يقاتلهم ، والمقصود انه ﷺ لم يكره أحداً على الدخول في دينه البتة ، وإنما دخل الناس في دينه اختياراً وطوعاً) ^(٣) .

المطلب الثاني: آداب التعايش مع المشركين .

لقد أطلق القرآن الكريم لفظ المشركين على عبّاد الأوثان والأصنام ، فأصبح هذا اللفظ علماً عليهم يميزهم من بقية الأديان الأخرى ، أي النصراني واليهود ، كما قال ابن قدامة : (وسائر أي القرآن يفصل بينهما ، فدل على أن لفظة المشركين بإطلاقها غير متناولة لأهل الكتاب) ^(٤)، ومع أننا أمرنا بقتال المشركين ، وطردهم من جزيرة العرب ، إلا أن الكثير من

(١)- الإسلام والآخر ، للدكتور عبد الرحمن عطبة ، دار الأوزاعي - بيروت ، الطبعة الأولى

١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م ، ص ٤٤ .

(٢)- سورة البقرة : الآية ٢٥٦ .

(٣)- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن

أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي المعروف بابن القيم، دار النشر: الجامعة الإسلامية - المدينة

المنورة ١٢/١ .

(٤)- المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل ، ١٠٠/٧ .

البلدان الإسلامية ما زالت تضم في داخلها أعداداً من المشركين ، فإذا لابد من التعايش معهم على وفق ما أراده القرآن ، وما بينته السنة المطهرة، سلماً وحرباً ، ولذلك سأتكلم على ابرز آداب التعايش معهم:

أولاً : آداب التعايش مع المشركين بالبر والقسط ، جاء ذلك في قوله تعالى : ﴿ لَا

يَنْهَكُوكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقِنُوا كُفْرَهُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (٨)

إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوا كُفْرَهُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوا مِنْ دِينِكُمْ وَظَنُّوْهُمَا عَلَيَّ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ

الظَّالِمُونَ ﴾ (٩) . ومن آداب التعايش الذي تحمله هذه الآية أن الله تعالى الذي أوصى المسلم

بان يبر المشرك ويقسط معه بالمعاملات كلها ، ليكون ذلك تربية للمسلمين على آداب التعايش يعلم فيها رب العزة جل جلاله عباده المؤمنين على مقابلة السيئة بالحسنة ، والظلم بالعدل، ولذلك فإن الآية أعطت درساً بليغاً للأمة التي يبغى القوي فيها على الضعيف، لكي ترجع إلى هذه الآداب لكي تتعايش بأمن وسلام كما قال الإمام الزمخشري : (وناهيك بتوصية الله المؤمنين أن يستعملوا القسط مع المشركين به ويتحاموا ظلمهم مترجمة عن حال مسلم يجترئ على ظلم أخيه المسلم) (١٠).

المطلب الثالث

آداب التعايش مع المنافقين

إن مصطلح النفاق لم يكن معروفاً عند المسلمين قبل مجيئهم إلى المدينة ، فلم يكن موجوداً في مكة ، وذلك أن المسلمين في مكة لم تكن لهم قوة يخافهم من أجلها الناس، فلما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة ودخل الإسلام كل البيوت ، أصبحت للمسلمين قوة تخيف الأعداء ، فاضطر بعض الناس ممن يكرهون الرسول ﷺ والمسلمين أن يتظاهروا بالإسلام على حقد وكره له ، هذه هي نشأة النفاق وتاريخه (١١).

(١) - سورة الممتحنة : من الآية ٨-٩ .

(٢) - الكشف للزمخشري ٥١٥/٤ .

(٣) - ينظر: لغة المنافقين في القرآن ، للدكتور عبد الفتاح لاشين ، دار الرائد العربي - بيروت ،

الطبعة الأولى - ١٩٨٥م، ص ١٠-١١ .

قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَتَأْتُمْ أُوْلَاءَ يُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَصَوْا عَٰلَيْكُمْ الْوَءَاكِلَ مِنَ الْغِطِّ ﴿١١٩﴾ قُلِ مُؤْتُوا بِغِطِّكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٢٠﴾ إِن تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِن تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢١﴾﴾ (١)

إن آداب التعايش مع المنافقين تبرز في :

- ١- عدم اتخاذهم بطانة من دون المؤمنين •
- ٢- ترك الصلاة على من مات منهم •
- ٣- عدم الافتتان بما أوتوا من زينة الدنيا •
- ٤- نصحتهم ودعوتهم إلى ترك ما هم عليه من نفاق •
- ٥- ترك معائبتهم ، وعدم تصديقهم فيما يأتون به من اخبار •

في هذه الآية تبرز آداب التعايش ، في نهى المؤمنين عن اتخاذ بطانة من غيرهم ، وهو الداء الخطير الذي ابتليت به الأمة الإسلامية ، فقد اتخذ حكامها بطانة سوء من المنافقين ، وغير المسلمين ، فحكموا بالوشايات التي ينقلها المنافقون ، فظلموا العباد وساموهم سوء العذاب ، وتمزق جمع الأمة ، وأدخلوا فيها من التشكك والطعن في عقائد المسلمين ، ثم إن هؤلاء الأعداء الذين تسربوا في صفوف المسلمين ، يتظاهرون لهم (- في ساعة قوة المسلمين وغلبتهم - بالمودة ، فتكذبهم كل خالجة وكل جارحة ، وينخدع المسلمون بهم فيمنحونهم الود والثقة ، وهم لا يريدون للمسلمين إلا الاضطراب والخبال ، ولا يقصرون في إعانات المسلمين ونثر الشوك في طريقهم ، والكيد لهم والدس ، وما وانتهم الفرصة ليل أو نهار) (٢) •

فيكون المعنى : لا يجوز للمؤمنين أن يتخذوا لأنفسهم مستشارين ونصحاء من غيرهم ، كاليهود والمنافقين ، فمعنى "دون" هنا "غير" أي: لا تتخذوا من لم يبلغ إيمانه وإخلاصه ما

(١)- سورة آل عمران : من الآية ١١٨ - ١٢٠ •

(٢)- في ظلال القرآن لسيد قطب ١/ ٤٥٢ •



بلغتم من الإيمان ، ففضية تظاهروهم بالإيمان وإخفاؤهم غير ذلك يوجب عليكم أن لا تأمنوهم في خاصة أموركم^(١) .

(١)- ينظر: تفسير المراغي ٤ / ٤٤ ، و زهرة التفاسير لأبي زهرة ٣ / ١٣٧٩ .

الخاتمة

الحمد لله والصلاة على رسول الله وعلى اله وصحبه ومن والاه وبعد :

في ختام هذا البحث أصل إلى تدوين أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة وهي كالآتي:

- ١- أن الرفق واللين من أبرز الآداب التي تعايش بها النبي ﷺ بين الناس والتي كانت سببا في هداية الكثير من الكفار وخروجهم من ضلالهم إلى نور.
 - ٢- أن الداعية عليه أن لا يعالج الخطأ بخطأ يكون سببا في شقوة المخطئ ، وعاملا قويا من عوامل خروجه من الإسلام إلى الكفر.
 - ٣- إن آداب التعايش مع الوالدين بالفعل أي التعامل والتصرف، قد بينته الآية في قوله تعالى: ﴿وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ وهذا الأدب يعني أن تقدم كل صور العطف والإحسان والتكريم العملية ، التي يستطيع أن يقوم بها رحمة بوالديه.
 - ٤- آداب الزوج مع زوجته مقدم على آداب الزوجة مع زوجها ، والسبب في ذلك هو أن المرأة ضعيفة مثل اليتيم ، فهي محتاجة إلى عطف ورحمة وحسن رعاية.
 - ٥- إن الحياة الزوجية لا يكتب لها الدوام ما لم تكن مبنية على المودة والرحمة بين الزوجين ، فإذا كان للزوج آداب للتعايش يجب أن يحافظ عليها لدوام الحياة الزوجية، فان للزوجة أيضا آدابا للتعايش مع الزوج إذا قصرت بها كانت سببا في زوال الحياة الزوجية.
 - ٦- الالتزام بآداب التعايش بين أفراد الأسرة ضروريا لدوام الحياة ، فهو بين أفراد المجتمع اشد ضرورة.
 - ٧- التعايش مع غير المسلمين لا يعني أن يتنازل المسلم عن قيم الإسلام ومبادئه الأساسية ، ولا يعني التميع والإنحلال والذوبان معهم ، حتى لا تبقى للمسلم شخصية ولا للإسلام قيمة.
 - ٨- الرسول ﷺ لم يكره أحدا على دخول الإسلام في كل دعوته.
- وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم



المصادر والمراجع

- ١- أحب الأعمال إلى الله ، لعبد رب النبي علي أبي السعود، تقديم مناع القطان ، مكتبة وهبة- ١٤٠٧ شارع الجمهورية - عابدين.
- ٢- أحكام القرآن، لأبي بكر محمد بن عبد الله ابن العربي، دار النشر: دار الفكر للطباعة والنشر - لبنان، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، ٣/ ١٨٥، و التحرير والتنوير لابن عاشور.
- ٣- أخلاق النبي وآدابه، عبد الله أبن محمد بن جعفر بن حيان الأصبهاني، دار المسلم للنشر والتوزيع - ١٩٩٨، الطبعة: الأولى، تحقيق: صالح بن محمد الونيان.
- ٤- آداب التحية والسلام في الإسلام ، لفاضل النجادي ، مؤسسة الرسالة - بيروت ، الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .
- ٥- آداب الحياة الزوجية ، للشيخ خالد عبد الرحمن العك ، دار المعرفة - بيروت ، الطبعة الأولى: ١٩٩٦م ، ص ١٧٧- ١٨٥ ، والسلوك الاجتماعي ، لحسن أيوب .
- ٦- الإسلام والتفاهم والتعايش بين الشعوب ، الأستاذ هاني المبارك، والدكتور شوقي أبو خليل، دار الفكر- دمشق، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م .
- ٧- بر الوالدين، للإمام الحافظ أبي بكر محمد بن خلف القرشي الطرطوشي ، تحقيق: محمد عبد الحكيم القاضي، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- ٨- التوجيه النحوي واللغوي لقراءات قرآنية، تأليف أ.د خليل إبراهيم حمودي السامرائي، وأ.د صالح حيدر الجميلي ، مؤسسة الرسالة- بيروت ، الطبعة الاولى ١٤٢٨- ٢٠٠٧م.
- ٩- خلاصة الأحكام في مهمات السنن وقواعد الإسلام ، تأليف: يحيى بن مري بن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام الحزامي، الحوراني، أبو زكريا، محيي الدين الدمشقي الشافعي ، تحقيق: حسين إسماعيل الجمل، مؤسسة الرسالة - لبنان - بيروت - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م ، الطبعة: الأولى.

- ١٠- خلاصة سير سيد البشر، محب الدين أبو جعفر بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر الطبري، مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة - السعودية - ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: طلال بن جميل الرفاعي.
- ١١- دلائل النبوة معرفة أحوال صاحب الشريعة ، لأبي بكر احمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: الدكتور عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية- بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨٥ م.
- ١٢- السبعة في القراءات لابن مجاهد ١/ ٣٧٩، و الحجة في القراءات لابن خالويه ص ٢١٦، وإتحاف فضلاء البشر للدمياطي.
- ١٣- السلوك الاجتماعي في الإسلام ، لحسن أيوب ، دار الندوة الجديدة- بيروت لبنان.
- ١٤- شرح النووي على مسلم، لأبي زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، دار النشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٣٩٢، الطبعة: الطبعة الثانية.
- ١٥- صور من سماحة الإسلام، الدكتور عبد العزيز بن عبد الرحمن أبن علي الربيعه، الرياض، ١٤٠٦ هـ- ١٩٨٦.
- ١٦- العبودية ، لشيخ الإسلام تقي الدين احمد بن تيمية ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٨١ م- ١٤٠١ هـ .
- ١٧- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبي الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، تحقيق محب الدين الخطيب.
- ١٨- فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠ هـ) فن التعامل مع الآخرين، محمد سعيد مرسي، مؤسسة اقرأ، الطبعة الاولى ١٤٢٣ هـ- ٢٠٠٣ م.**
- ١٩- في ظلال القرآن ، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥ هـ)، دار الشروق - بيروت- القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ.
- ٢٠- كتاب غريب القرآن، أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني، دار قتيبة - ١٤١٦ هـ- ١٩٩٥ م، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران.

- ٢١- لغة المناققين في القرآن ، للدكتور عبد الفتاح لاشين ، دار الرائد العربي - بيروت ، الطبعة الأولى - ١٩٨٥م.
- ٢٢- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧هـ، بتحرير الحافظين الجليلين: العراقي وابن حجر ، طبعة دار الفكر، بيروت، طبعة ١٤١٢ هـ، الموافق ١٩٩٢ ميلادي.
- ٢٣- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه، تأليف: أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل الكتاني، دار العربية - بيروت - ١٤٠٣، الطبعة: الثانية، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي .
- ٢٤- المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، المكتب الإسلامي - بيروت - ١٤٠٣، الطبعة: الثانية، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي.
- ٢٥- المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار ، دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية.
- ٢٦- معجم مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، دار الجيل - بيروت - لبنان - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م، الطبعة: الثانية، تحقيق: عبد السلام محمد هارون.
- ٢٧- مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت٨٠٨)، دار الشعب - القاهرة (بدون تاريخ) .
- ٢٨- الناسخ والمنسوخ، لأحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس أبي جعفر، تحقيق: د. محمد عبد السلام محمد ، مكتبة الفلاح - الكويت - ١٤٠٨، الطبعة: الأولى.
- ٢٩- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لأبي عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي الدمشقي المعروف بابن القيم، دار النشر: الجامعة الإسلامية - المدينة المنورة.
- ٣٠- والمختصر الكبير في سيرة الرسول ﷺ ، عز الدين بن جماعة الكتاني ، دار البشير - عمان - ١٩٩٣م، الطبعة: الأولى ، تحقيق: سامي مكي العاني.